| ISSN: 2959-2585 2959-2577 | Journal of Arabic University of Karachi | Vol: 1 Issue :2 July-Dec, 2023 |
| --- | --- | --- |

عنوان المقال

# THE ELOQUENCE OF THE QUR'AN IN ANSWERING AN INTERROGATIVE THROUGH AN INTERROGATIVE

# بلاغة القرآن في جواب الاستفهام بالاستفهام

إعداد

**⁎ Dr. Samia Nazish**

⁎ Assistant Professor, Department of Literature, Faculty of Arabic, IIU – Islamabad And Post Doctorate Research Fellowships

# THE ELOQUENCE OF THE QUR'AN IN ANSWERING AN INTERROGATIVE THROUGH AN INTERROGATIVE

**بلاغة القرآن في جواب الاستفهام بالاستفهام**


## ABSTRACT:

The Qur'an is the miraculous book of Allah, in which Allah Almighty challenged all mankind and jinn to produce something like it, but they were unable to do so because it was beyond the powers of their minds. The Holy Qur'an is miraculous in its words and style, and it is miraculous in its explanation and composition. The interrogative method is one of the rich methods of addressing that is expressed by the miracle of the Holy Qur'an. It is one of the most repeated methods in the Holy Qur'an. Most of them are questions that Allah Almighty asks His creation. A questioner asks about something he does not know. There is no doubt that in this sense it is impossible for Allah Almighty. Allah Almighty does not ask His creation about anything. Rather, He asks them to determine and remind them that they know the truth about that thing. Especially if the question carries the answer. The answer to the question is a vague question that can have several interpretations. It is a wonderful method that makes Quranic discourse unique because of its power to convey the speech and the diversity of its rhetorical meanings as the situation requires. It led me to choose this field of study, which aims to understand Qur'anic answers through questions. The importance of this topic lies in applying the Qur'anic verses with an analytical approach to reach meanings affecting the souls of the recipients.


**KEYWORDS:** Qur'anic answers through questions, rhetorical meanings


**الملخص:**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي ألقى الكلام وحيا ومعجزا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إنّ القرآن كتاب الله المعجز الذي تحدّى الله تعالى به الأوَّلين والآخرين من الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك لأنه خارج عن قوى عقولهم. فالقرآن الكريم هو معجز في ألفاظه وأسلوبه، وهو معجز في بيانه ونظمه. وأسلوب الاستفهام من الأساليب الثرية في توجيه الخطاب الذي يعبر عنه إعجاز القرآن الكريم، وهو من أكثر الأساليب التي تكررت في النظم القرآني، أغلبها أسئلة يسألها الله سبحانه وتعالى لخلقه. ويستعمل الاستفهام عن أمر يجهله السائل. ولا شك أنه بهذا المعنى يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى. إنه سبحانه وتعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، إنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء. خاصة إذا كان السؤال يحمل الجواب. والجواب عن الاستفهام يكون باستفهام غامض يحتمل عدة تفسيرات، وهو أسلوب بديع انفرد به الخطاب القرآني لما له من قوة في تبليغ الخطاب وتعدد الإيحاءات البلاغية حسب مقتضى الحال.

وانطلاقا من هذا الجانب الدقيق الذي تجلى به الأسلوب القرآني، جاء اختيار هذه الدراسة بعنوان: "**بلاغة القرآن في جواب الاستفهام بالاستفهام**" تخصّص آيات محددة لبيان المعنى المراد من الخطاب القرآني.

تهدف هذه الدراسة إلى التدبّر في الأجوبة القرآنية بالاستفهام وفهم معانيها، وإبراز جمالية الإيحاءات البلاغية فيها. أهمية هذا الموضوع تكمن في تطبيق الآيات القرآنية بمنهج تحليلي بغية الوصول إلى الدلالات الموحية المؤثرة في نفوس المتلقين.

**المقدمة:**

إن القرآن الكريم قد استخدم العديد من الأساليب بغية التأثير في المتلقين للوصول إلى أهدافه وتحقيق غاياته، ومنها أسلوب الاستفهام، هو من أكثر الأساليب التي تكررت في القرآن الكريم فقد ورد ١٢٦٠ مرة ، لقد خصصت له دراسات عديدة، أما الجواب بالاستفهام في القرآن الكريم فلم يحظ بما حظي به الاستفهام، وقد تعرض له بعض الباحثين بإشارات موجزة أثناء بحثهم موضوع الحوار كما في: "**الحوار في القران الكريم**": رسالة الماجستير التي قدمها إسماعيل علي محمد السامرائي إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد عام 1989م. و"**أسلوبية الحوار في القرآن الكريم**": رسالة الدكتوراه التي قدمها رسول حمود حسن الدوري إلى كلية الآداب بجامعة بغداد عام 1995م.

هناك دراسات أخرى تعرضت للجواب مباشرة كما في: "**أجوبة القرآن على أسئلة الإنسان الثلاثة: من أين؟ إلى أين؟ لماذا؟**": رسالة الماجستير التي قدمها عز الدين سعيد كشنيط الجزائري إلى كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد عام 1998م. وهو بحث موضوعي في العقيدة قام الباحث من خلاله توضيح الخطوط التي رسمها القرآن لرحلة الإنسان من الولادة إلى ما بعد يوم القيامة. و"**يسئلونك في القرآن والجواب عنها**": رسالة الماجستير التي قدمها محمد الشيخ محمد عثمان ركاب إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1406هـ. تناولت هذه الرسالة جزءا يسيرا من الجواب القرآني، وهي الإجابة عن الصيغة التي تفتتح بالفعل (يسألونك). و"**أساليب الجواب في القرآن الكريم**": رسالة الماجستير قدمها الباحث مهدي راضي الساعدي إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد عام 1423هـ. قد تناولت هذه الدراسة الجواب القرآني المبدوء بالفعل الماضي وبالفعل المضارع وبـ (كلا، ونعم، عسى، وبلى).

يتضح مما تقدم أن الجواب القرآني بالاستفهام لم ينل القدر نفسه من الاهتمام والدراسة، ولم تقم دراسة متخصصة تناولت البحث المستقل لموضوع "جواب الاستفهام بالاستفهام" في القرآن الكريم.

فوقع اختياري على هذا الموضوع ليجيب عن عدة أسئلة، ومنها:

- ما المواطن القرآنية التي حفلت بأسلوب جواب الاستفهام بالاستفهام؟
- ما الأدوات التي يتضمنها هذا الأسلوب؟

– وما الإيحاءات البلاغية التي يمكن استنباطها من توظيف القرآن الكريم لهذا الأسلوب؟

المنهج المتبع في هذا البحث يكون المنهج الاستقرائي التحليلي في استقصاء كل ما أستطيع الوقوف عليه من الآيات موضع الدراسة، وتحليل النصوص من خلال مفرداته وجمله مع مراعاة مقتضى المقام، وتتبع أقوال العلماء فيها.

فأجمع الآيات القرآنية التي حفلت بأسلوب جواب الاستفهام بالاستفهام، وأذكر الآيات مرتبة على ترتيب المصحف وأحللها بالنظر في المفردات القرآنية وجملها من حيث بناء المعنى وأبين دلالة الجملة وأثر ذلك في صورة المعنى، وأوثق – قدر الإمكان – أقوال من قالوا بتقدير جواب الاستفهام بالاستفهام فيها ثم أبين ما أراه مراعاة للسياق، وأقوم بتعريف المصطلحات البلاغية والتعريف بالأعلام.

ويشتمل هذا البحث على المقدمة، يردفها المدخل عن أسلوب الاستفهام ومفهومه لغة واصطلاحا، وأنواعه من حيث الغرض والمعنى، حتى يصل إلى صلب الموضوع عن دراسة جواب الاستفهام باستفهام في الآيات القرآنية بمنهج تحليلي، ويختتم بالنتائج المطلوبة.

**المدخل:**

**أسلوب الاستفهام:**

الاستفهام أسلوب من الأساليب العربية وهو صورة من صور الإنشاء الذي يقابل أسلوب الخبر، والخبر هو الكلام التام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، حيث يرتبط بصورة عامة بالواقع الخارجي، فإذا توافق الخبر مع الواقع الخارجي يعد الخبر صادقا، وفي حالة عدم توافق الخبر مع الواقع الخارجي يعدّ كاذبا. والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل صدقا أو كذبا، كالأمر والنهي والاستفهام والتمنى والنداء وغيرها. إذا يقال: اللهم ارحمني. فلا ينسب لقائله الصدق أو الكذب.

أ– الاستفهام لغةً: وردت لفظة "الاستفهام" في اللغة العربية من الجذر اللغوي (ف ه م)، وهو مصدر من فعل: (استفهم)، قد عرّفه الجوهري[1] وقال: "(فَهِمَ) الشيء بالكسر (فَهْمًا) وَ (فَهَامَةً) أي علمه. (وَاسْتَفْهَمَهُ) أي: أفهمه." [2] وذهب بعض المعاجم إلى أن: " الفهم هو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهّم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء، واستفهمه: سأله أن يفهّمه، يقال: قد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمّته تفهيما." [3]

فالاستفهام في أصل اللغة هو طلب الفهم، وذلك لأن الهمزة والسين والتاء إذا زيدت في أول الفعل الثلاثي أفادت معنى الطلب.

ب– الاستفهام اصطلاحا: لا يختلف مفهوم الاستفهام في اصطلاح النحاة والبلاغيين عن معناه اللغوي، قد عرّفه سيبويه[4] بقوله: "طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عما سأل عنه."[5]

وعرّفه السكّاكيّ[6] : "الاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون، الأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق." [7]

وعلى ضوء ما سبق يمكننا تلخيص القول في مفهوم الاستفهام أنه يطلب به العلم بشيء ليس معروفاً لدى السائل. وذلك بأداة من إحدى أدواته، وتنقسم إلى قسمين:

أولهما: حرفان هما: (الهمزة وهل), وثانيهما: أسماء وهي أحد عشر اسمًا، هي: (مَنْ، ما، ماذا، من ذا, متى, أيان, أين, كيف, أنى, كم, أي).

ت- أنواع الاستفهام : ينقسم الاستفهام من حيث الغرض والمعنى إلى نوعين، وهما:

1- الاستفهام الحقيقي: هو السؤال الذي يطلب جواباً، وعلى هذا لا يكون الاستفهام حقيقيا إلا إذا كان لفظه الظاهر موافقا لمعناه عند سؤالك عمّا لا تعلمه، فتقول: (ما عندك؟) و(من رأيت؟)." [8] وينقسم الاستفهام الحقيقي من جهة وظيفته إلى قسمين: استفهام التصور، واستفهام التصديق.

- استفهام التصور: إذا كان المطلوب معرفة أحد مفردات الجملة من مسند أو مسند إليه أو مفعول به أو غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [9]، والجواب ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾.
- استفهام التصديق: هو اثبات النسبة بين الشيئين، أو نفيهما ويجاب عنه بـ (نعم) أو (لا) أو (إي) نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [10] الجواب ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾.

2- الاستفهام المجازي: هو السؤال الذي لا يحتاج إلى جواب، لأنَّ الجواب مفهوم من سياق السؤال، نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[11]، الاستفهام هنا يراد به اللوم والإنكار.

وكثيراً ما يخرج الاستفهام عن طلب الفهم والعلم بشيء غير معلوم إلى معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، كما قال القزويني [12]: " ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام." [13] "كالتقرير والتعجّب والإنكار والتوبيخ والتأنيس والتشويق والتحضيض وغير ذلك." [14]

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني[15] إلى أن المقصود في الاستفهام إنما هو محض التنبيه، فقال بعد أن تحدث عن بعض الشواهد في معنى الإنكار: " أعلم أنا وإن كنا تفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعيي بالجواب."[16]

وعقب بعض البلاغيين المعاصرين على قول الجرجاني بقوله: " وهذا التنبيه عند الشيخ يكفي لتلقي كل ما يثار حول الفكرة من حقائق وبراهين تؤدي إلى رفضها أو قبولها أو الإقرار بها أو الخجل منها أو استنكارها أو

استبعادها إلى آخر ما يعطيه الموقف.. المهم أن يلتفت السامع إلى هذه الحقائق، ثم ندعه يتعامل معها بوعيه، ويتدبرها بفكره، وينتهي فيها إلى ما يراه."[17]

واستعمال اسلوب الاستفهام مجازا يكسب المعاني طبيعة تختلف عما هي عليه في صورتها الخبرية، فتجعلها اكثر حيوية، وتزيد من الاقناع والتأثير بها، وذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب لانتباهه، ومن إشراكه في التفكير ليصل بنفسه الى الجواب من دون أن يُملى عليه.[18]

خلاصة الكلام : أن أسلوب الاستفهام قد كثر في النظم القرآني، وبعضا من الاستفهامات القرآنية ورد جوابا عن الاستفهام لتنبيه النفوس وإثارة الأذهان واستمالة المخاطبين للتدبر والتأمل.

**دراسة جواب الاستفهام باستفهام في الآيات القرآنية**

**قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [19]**

**الدراسة والتحليل:**

وردت هذه الآية في بيان حال اليهود ومن كان على شاكلتهم، إذ يقومون بالوعظ والتعليم فهم لا ينظرون إلى حال أنفسهم تجاه تلك الأوامر التي يأمرون بها الناس. والمراد بالناس في الآية هم العامة من قوم اليهود، والمعنى: كيف تأمرون عامتكم بالبرّ وتنسون أنفسكم؟.[20]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ← وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم ← وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ← أَفَلَا تَعْقِلُونَ**

↓ ↓ ↓ ↓

**جملة استفهامية جملة عاطفة جملة حالية إجابة استفهامية**

قوله تعالى (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**) بهمزة الاستفهام التي يعجب الله فيها من حالهم، وجملة (**تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**) عطفت على جملة (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**)، والتعبير بالأفعال المضارعة الذي يدل على الدوام والتجدد حينا بعد حين، يشعر أن هذه الصفة تتكرر، وهذا الفعل يتكرر منهم، فهم يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم ومع ذلك هم يتلون الكتاب.

وقوله تعالى (**وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**) جملة حالية حيث صدّر الكلام بتقديم المسند إليه والتعبير عنه بالضمير (**أنتم**) لإفادة تقرير الفاعل لفعل تلاوة الكتاب (التوراة) في مقام التعجب من حال هؤلاء اليهود لأنه ليس هناك أقبح في العقول من أن يأمر الإنسان غيره بخير وهو لا يأتيه.

" ونسيان أنفسهم يكون أغرب وأفظع إذا كان معهم أمران يقلعانه، وهما أمر الناس بالبر، فإن شأن الأمر بالبر أن يذكر الآمر حاجة نفسه إليه إذا قدر أنه في غفلة عن نفسه، وتلاوة الكتاب أي التوراة يمرون فيها على الأوامر والنواهي من شأنه أن تذكرهم مخالفة حالهم لما يتلون." [21]

وقوله تعالى (**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) قد اجتمعت فيه همزة الاستفهام مع حرف العطف، وهذا يكثر في النظم القرآني بقوله تعالى (**أفلا تذكرون**[22])، (**أفلم يسيروا**[23])، (**أولم يسيروا**[24])، (**أثم إذا ما وقع آمنتم به**[25]) وأشباه ذلك، يعني أنه يأتي حرف العطف بعد همزة الاستفهام، وهمزة الاستفهام من المعلوم أن لها الصدارة في جملتها. ولا صدارة مع وجود الواو. فهنا "يجعل بين الهمزة وحرف العطف جملة مقدرة يصح العطف عليها وتلائم سياق الكلام فيقدر هنا: (أتفعلون فلا تعقلون)".[26]

فسّر بعض المفسرين هذا الاستفهام قائلا: " أنكر عليهم ترغيباً فيما ندبهم إليه وحثهم عليه، وتوبيخاً على تركه بقوله: ( أَتَأْمُرُونَ ) من الأمر وهو الالزام بالحكم." [27] وهذا الذي ذهب إليه الإمام الزمخشري [28] بالقول: " الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم." [29]

فهذا الاستفهام الثاني (**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) الذي ورد في فاصلة الآية، هو جواب عن الاستفهام الأول (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**...) الذي ورد في صدر الآية ، وهذا النوع من الخطاب هو أبلغ الصور الأدبية لأنه أوقع في النفس وأصدق في التبليغ، لأنه يطرح جملة من التساؤلات، ومنها: ما الغاية من سؤال الله عزّ وجلّ؟ فهو الزيادة في التنبيه والتوبيخ.

**قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾**[30]

**الدراسة والتحليل:**

الآية الكريمة ابتدأت بأسلوب الشرط بـ (إذا) لإفادة استمرارية الزمان، ثم جاء العطف بقوله تعالى (**إِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**) على قوله تعالى ( **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا**) يبيّن صورة من صور نفاق اليهود، وهذا حالهم الذي لا ينفكون عنه، إذا تلاقوا مع المؤمنين، " قالوا لهم نفاقا وخداعا: صدقنا أن ما أنتم عليه هو الحق. وأن محمدا صلّى الله عليه وسلّم رسول من عند الله، وإذا ما انفرد بعض اليهود ببعض قال الذين لم ينافقوا لإخوانهم الذين نافقوا معاتبين: أتخبرون المؤمنين بما بينه الله لكم في كتابكم مما يشهد بحقية ما هم عليه، لتكون لهم الحجة عليكم يوم القيامة، أفلا تعقلون أن هذا التحديث يقيم الحجة لهم عليكم؟."[31]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**وَإِذَا لَقُوا ⟵ إِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ⟵ أَتُحَدِّثُونَهُمْ ⟵ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**

↓ ↓ ↓ ↓

**جملة شرطية جملة عاطفة جملة استفهامية إجابة استفهامية**

قد ورد في هذه الآية استفهامان، أولهما بلسان المنافقين: (**أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ**)، والثاني: (**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)، وهو جواب عن الاستفهام الأول.

استفهامهم الأول: (**أَتُحَدِّثُونَهُمْ**) بالهمزة في مقام الإنكار، والإنكار قد يأتي للتكذيب أو الإبطال (يسمّى إنكار تكذيبي أو إبطالي[32])، " وقد يأتي لتوبيخ ولوم المخاطَب على ما وقع منه." [33] وهنا استفهام إنكاري توبيخي بمعنى لا ينبغي أن يكون، أي: كيف تحدثونهم أي المومنين بالشيء الذي فتح الله عليكم بعلمه وعلمتموه. ثم جاء السياق معللا بـ (**لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ**).

ثم ورد الاستفهام الثاني (**أَفَلا تَعْقِلُونَ**) بتقديم همزة الاستفهام على حرف العطف ، الفاء عاطفة على مقدّر بعد الهمزة، والتقدير: (أجهلتم فلا تعقلون)، وفي هذه الهمزة الاستفهامية إجابة المنافقين لقومهم في مقام التوبيخ ، وقد أتوا بها لزيادة توبيخهم لهم حتى لا يعودوا إلى التحدث مع المؤمنين، المهم يقدر شيء مناسب حسب السياق.

**قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.... ﴾** [34]

**الدراسة والتحليل:**

قد جاء النص القرآني على شكل الحوار بين سائل ومسؤول، وهذا السائل يريد الاطمئنان عن حقيقة البعث، هو لم يكن شاكا في إحياء الله الموتى قط، إنما يطلب المعاينة بأداة الاستفهام (**كيف**) التي تدل على الحال. إنما هذا الاستفهام على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام متعجبا من احياء الموتى، هو يستفهم عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر.

كما قال الإمام القرطبي[35] : " الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائلِ والمسؤولِ". [36]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ⟵ أَوَلَمْ تُؤْمِن ⟵ بَلَى ⟵ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**

↓ ↓ ↓ ↓

**جملة استفهامية إجابة استفهامية الإثبات التعليل مع الاستدراك**

قد ورد في هذه الآية الاستفهام الأول بلسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : (**كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى** )، فجاء الاستفهام الثاني من الله سبحانه وتعالى بقوله: (**أَوَلَمْ تُؤْمِن**)، هنا تقديم همزة الاستفهام على حرف العطف (واؤ)، ويجعل بينهما جملة مقدرة، يرى بعض المفسرين أن العطف على مقدر: (ألم تعلمْ ولم تؤمنْ) بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألَني إراءتَه، قاله عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً ليجيبَ بما أجاب به فيكون ذلك لطفاً للسامعين.[37]

فالاستفهام الثاني (**أَوَلَمْ تُؤْمِن**) هو إجابة استفهام إبراهيم عليه السلام لكي لا يتوهم المتلقون أن إبراهيم عليه السلام كان غيرمؤمن ، وفيه همزة الاستفهام جاء للتقرير، "مرادا به التثبيت والتحقيق أو حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده." [38]

والله سبحانه وتعالى لا يريد حقيقة طلب الجواب بل يطلب من المخاطب أن يقر بما يُسأَلُ عنه نفياً أو إثباتاً، لأي غرض من الأغراض التي يراد لها التقرير. وهنا كان المقام مقام التقرير، وهذا يناسب سياق النص لأن بعد ذلك تأتي إجابته عليه السلام بـ (بلى) في مجال الاعتراف بأمر الله العزيز، ويعلل سبب السؤال بقوله (**وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**) ليزداد سكونا وطمأنينة.

**قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾** [39]

**الدراسة والتحليل:**

في هذه الآية الكريمة الخطاب القرآني للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بصيغة الأمر (قل)، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ثم وردت جملة استفهامية بالهمزة (**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ**)، أي إذا وجدتم أن الله أخذ سمعكم الذي تسمعون به فأصمكم حتى لا تسمعوا شيئًا، وأخذ أبصاركم التي تبصرون بها فأعماكم حتى لا تبصروا شيئًا أصلًا ، وختم على قلوبكم لا تفقهوا شيئًا أصلًا ولا تعرفوا شيئًا. من هو إله آخر غير الله يرد عليكم ما أخذها الله منكم.

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**قُلْ** ⟵ **أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ...** ⟵ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**

↓ ↓ ↓

**أسلوب الأمر** **جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

قد ورد في الآية استفهامان، الاستفهام الأول هو بقوله تعالى (**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ...**)، المقصود بهذا الاستفهام تقرير وجود الصانع وقدرته على إيجاد هذه الأعضاء، وأخذها. ويرى بعض المحققين المعاصرين أن " المراد من هذا الاستفهام هو إثارة الذهن ولفت الأنظار وتهيئة النفوس لتلقي ما يقال بعد هذا الاستفهام، بعد بعث المشاعر من غفلتها توطئة لتمكين المعنى في القلوب." [40]

والاستفهام الثاني (**مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**) هو جواب الاستفهام الأول، فيه حرف استفهام (من) بمعنى (لا)، أي: لا إله غير الله يأتيكم به. هذا الأسلوب ورد في النظم القرآني ثلاث مرات، مرة بهذه الآية، مرّتين في سورة القصص.

في الآية 71 من سورة القصص: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**)[41]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**قُلْ ⟵ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا .... ⟵ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ بِهِ**

| أسلوب الأمر | جملة استفهامية | إجابة استفهامية |
|---|---|---|

وفي الآية 72 من سورة القصص: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** )[42]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**قُلْ ⟵ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا... ⟵ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ ...**

| أسلوب الأمر | جملة استفهامية | إجابة استفهامية |
|---|---|---|

فيها قد خرج الاستفهام بقوله تعالى (**مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ**) من معناه الحقيقي إلى معنى المجازي حسب السياق، وهو بمعنى نفي ذكره ابن فارس معنى مجازيا من معاني الاستفهام.[43]

فجعل النظم القرآني هذا المعنى في صورة الاستفهام لإرادة تنبيه المخاطبين، والحث على التأمّل والتدبّر.

**قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾**[44]

**الدراسة والتحليل:**

في هذه الآية الكريمة يذكر الله سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع من آثار رحمته ومن آثار قدرته بأسلوب الاستفهام. يرى بعض المفسرين أن " لفظة (أم) منقطعة بمعنى( بل) للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض مع مراعاة وجود معنى الاستفهام أو لفظه بعدها لأن (أم) لا تفارق معنى الاستفهام وانتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام التقريري." [45]

الشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً.... ⟵ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**

| جملة استفهامية | إجابة استفهامية |
|---|---|

ثم ساق الله سبحانه وتعالى أربع آيات قرآنية، وكل آية فيها ما يدل على كمال قدرته وعلمه ، وختم كل آية بقوله تعالى: (**أإله مَّعَ الله**)، منها:

قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [46]

أي: الذي جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا من هو؟ فاستفهام ثاني (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) هو جواب الاستفهام الأول.

الشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا...** ⟵ **أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**

↓ ↓

**جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾[47]

**أي:** الذي يجيب المضطر ويكشف السوء ويجعلنا خلفاء الأرض من هو؟ فاستفهام ثاني (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) هو جواب الاستفهام الأول.

الشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ** ⟵ **أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**

↓ ↓

**جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [48]

أي: الذي يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ويرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته من هو؟ فاستفهام ثاني (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) هو جواب الاستفهام الأول.

الشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا ....** ⟵ **أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**

↓ ↓

**جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [49]

أي: الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده، ويرزقكم من السماء والأرض من هو؟ فاستفهام ثاني (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) هو جواب الاستفهام الأول.

الشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ⟵ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**

↓ ↓

**جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

قد ورد الاستفهام الأول في هذه الآيات الخمس للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت، ومجيء التحقيق في صورة الاستفهام فيه تنبيه للمخاطب والحث على التدبر والتأمل. أما الاستفهام الثاني قد تكرر خمس مرات في هذه الآيات بقوله تعالى (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) هو جواب الاستفهام الأول لنفي الشريك عنه بالأدلة العقلية والكونية والنفسية.

فأسلوب التكرار كثير شائع في النظم القرآني، من أغراضه كما ذكر البلاغيون: " التأكيد وزيادة التنبيه والطول في الكلام وفي هذا السياق تكرار قوله عزّ وجلّ (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) خمس مرّات يهزّ العقول للتدبّر في بيان أهمية ما ذكر ولفت [50]وغيرها." الانتباه إليه. ويفيد تأكيد هذه المعاني وتثبيتها في نفوس المخاطبين.

**قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ [51]**

**الدراسة والتحليل:**

إن قصة إبليس قد ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم[52] وهي: " أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر، متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتثالا لأمر الله عز وجل. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا بل كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه". [53]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**يَا إِبْلِيسُ ⟵ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ⟵ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**

↓ ↓ ↓

**أسلوب النداء** **جملة استفهامية** **إجابة استفهامية**

فيخاطبه الله عزوجل بأسلوب النداء (**يَا إِبْلِيسُ**) باسمه لتحديد من يرفض للسجود، ويسأل : (**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**)، كان الاستفهام عن سبب امتناع السجود لآدم عليه السلام، واستخدمت جملة الموصول (**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**) بدلا عن اسمه الظاهر(آدم) تنبيها لإبليس بأن عدم سجوده قد جرى لمن اختصه الله بقدرة الله العظيمة، كلمة (يدي) كناية عن القدرة الإلهية.

ثم جاء قوله تعالى: (**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**)، لفظة الاستكبار من مادة: (ك ب ر) وبصيغة استفعال دالة على الطلب. قال الألوسي: "والاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق. " [54]

ويرى الإمام راغب الأصفهاني: أن " الكبر والتكبّر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبّر التكبّر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. والاستكبار يقال على وجهين: أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود. والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم. "[55]

وعلى هذا ما ورد في النظم القرآني مع همزة التسوية المتلوة بأم المعادلة: (**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**) ، فجاء استفهامه عزّوجلّ في جواب استفهامه الأول بصيغة الفعلية الماضية (اسْتَكْبَرْتَ). ومعلوم كما هو مقرر في البلاغة واللغة أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد بالقرائن. وبهذا المعنى جاء هنا فهو يدل على تحقق وقوع فعل الاستكبار في مقام التوبيخ، أي: تركت السجود له استكبارا عليه.

وقوله تعالى: (**أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**) بجملة اسمية، والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الدوام والاستمرار بالقرائن إلا إذا كان خبرها مفردا أو جملة اسمية، بهذا المعنى جاء هنا فهو يدل على دوام العلو له، يعني صار العلوّ أمر دائم وثابت له في سياق النفي،

إن النظم القرآني قد عبّر بالتعبير: (أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) دون: أم كنت عاليا، دلالة على مدى استكباره وتماديه في العلّو والطغيان، إذ تفيد الصيغة أنه ليس عاليا وحسب، بل هو من القوم الطغاة الذين وسموا بالعلو والاستكبار. كما قال الإمام البغوي: " استكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من القوم اللذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم." [56]

**قوله تعالى:**

﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ [57]

**الدراسة والتحليل:**

سياق الآية تفصيل لقصة الأمتين عاد وثمود " فكانوا – مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله– مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم".[58]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ.← وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ← أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**

↓ ↓ ↓

**جملة خبرية جملة استفهامية إجابة استفهامية**

قد بدأت الآية بحرف تفصيل (أما) والمعنى: فأما عاد فمنعهم من قبول الهدى استكبارهم، وهذا الخبر قد وقع بالفعل الماضي (**فَٱسْتَكْبَرُواْ**) لتحقق وقوع الاستكبار منهم، وهي من الفعل الثلاثي: كبر، والسين والتاء فيه للمبالغة، أي: المبالغة في الكبر، وهم بالغوا في الكبر بغير الحق.

وفي قوله: (**بِغَيْرِ الحَقِّ**) زيادة التشنيع لاستكبارهم ، " فإن الاستكبار لا يكون بحق إذ لا مبرر للكبر بوجه من الوجوه لأن جميع الأمور المغريات بالكبر من العلم والمال والسلطان والقوة وغير ذلك لا تُبلغ الإنسان مبلغ الخلوّ عن النقص وليس للضعيف الناقص حق في الكبر ولذلك كان الكبر من خصائص الله تعالى . وهم قد اغترُّوا بقوة أجسامهم وعزة أمتهم وادعوا أنهم لا يغلبهم أحد".[59]

فقال الله تعالى ردا عليهم بأسلوب الاستفهام: (**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**)، بعد همزة الاستفهام جاء الواو للعطف على الجملة المحذوفة يقتضيها المقام.

" ولما كان التقدير أن يقال إنكاراً عليهم : ألم يروا أن الله لو شاء لجعلهم كغيرهم، عطف عليه قوله : (أولم يروا) يعلموا علماً كما هو كالمشاهدة،" [60]

ويكون المعنى: أنهم " أغفلوا عن قدرة الله ولم يعلموا أن الله العظيم الجليل الذي خلقهم وخلق الكائنات، هو أعظم منهم قوةً وقدرة." [61]

قد ورد التعبير القرآني (**ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُو**) بتعريف المسند إليه اسما موصولا لإشعارهم أن الله هو الذي أوجدهم من العدم، وبضمير الفصل (**هُوَ**)، **لم يقل: (الله أشد منهم قوة)**، فهذا الضمير يفيد توكيد الخبر وقصر القوة على الله سبحانه وتعالى.

قد عبّر النظم القرآني بإجابة الاستفهام باستفهام لتوبيخ عاد – قوم هود عليه السلام – والتوبيخ هو التعيير والتقريع على أمر قد وقع في الماضي او على أمر يخاف المرء أن يقع في المستقبل، فهو بمعنى: ما كان ينبغي أن يكون هذا، نحو: أعصيت ربك او بمعنى: لاينبغي أن يكون، نحو: أتعصي ربك، فالغرض منه الذم على ماضٍ والارتداع عن مستقبل.[62]

والإجابة القرآنية قد عمدت بهمزة الاستفهام على الجملة المنفية بـ(**لم**) إفادة تقرير ما بعد النفي، وهذه الهمزة في الحقيقة للإنكار، أي: إنكار للنفي، وإنكار النفي إثبات، يقول الإمام الزمخشري: " أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها."[63]

فقوله تعالى به إثبات وليس نفياً. قد جاء هذا الأسلوب لطلب إقرار المخاطبين تأكيداً لترسيخ المعنى في نفوسهم.

**قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾** [64]

**الدراسة والتحليل:**

سياق الآية الكريمة يخبر بأن الله عزّوجلّ يقول لجهنم يوم القيامة: **(هَلِ امْتَلأْتِ)** من الكفار، وذلك "أنه وعدها أن سيملؤها من الجنّة والناس أجمعين"،[65] كما جاء في سورة هود: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ . [66]

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**يَوْمَ ← نَقُولُ لِجَهَنَّمَ ← هلِ امْتَلأْتِ ← وَتَقُولُ ← هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**

↓ ↓ ↓ ↓ ↓

**ظرف جملة خبرية جملة استفهامية جملة خبرية إجابة استفهامية**

إن الله سبحانه وتعالى يعلم أنها امتلأت أو لم تمتلئ، لأنه لا يخفى على شيء لكن يسألها: **(هَلِ امْتَلأْتِ)** بصيغة الماضي ليقرر لها ويحقق ما وعدها سبحانه وتعالى، وفيه تنبيه أهل العذاب إلى هذا الاستفهام. فهي لم ترد بلا أو بنعم بل تستفهم: **(هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)**، (هل) هنا أداة استفهام، وهي استفهام طلب بمعنى أنها تطلب الزيادة.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

" لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط. وتقول: قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة. " [67]

فالاستفهام الثاني **(هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)** هو جواب عن الاستفهام الأول لإشارة نفي الامتلاء، ولم يكن مباشرة بصيغة (لم امتلئ). بل بطريق الاستفهام تجيب، السر البلاغي في هذا هو تخويف الكفار من هذا الموقف الخطير، وتهويل أمرها مع اتساعها. وتحذير من النار وأهوالها، وإنذار لأهل الدنيا من ارتكاب الجرائم والمظالم.

**قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾** [68]

**الدراسة والتحليل:** في هذه الآيات الكريمة يخاطب الله عز وجل الإنسان بأسلوب استفهام، ثم يرشده إلى الإجابة بطريق الأسئلة ليتأمل الحقائق عن خلق الإنسان، لا يرى الإنسان إلا أن الأزواج يلتقون ويستقر ماء كل منهم في الرحم بعد تسعة أشهر.

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ← أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**

↓ ↓

**جملة استفهامية إجابة استفهامية**

قد جاء النظم القرآني بالاستفهام الأول: (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ**) أي: أرأيتم وعلمتم أن هذا الماء الذي يمنى، كيف يحول عبر مراحل غيبية، يتحول بعد تسعة أشهر إلى خلق آخر مكتمل التكوين؟

ثم ورد الاستفهام الثاني (**أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**) في جواب الاستفهام الأول، هنا قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ) بهمزة الإنكار قطعا، أي: لا أحد منهم يفعل ذلك. واستخدام الفعل المضارع (تخلقون) للدلالة على الاستمرار في نفي فعلهم عن التخليق. أما (أم نَحْنُ الْخَالِقُونَ) بهمزة التقرير قطعا، أي: إنما يخلقه الله وحده. هنا ورود جملة اسمية تدل على الثبات واستقرار الأمر. وتقديم المسند إليه (نحن) على المسند المعرف بأل (الْخَالِقُونَ) يفيد القصر، ونوع القصر حقيقي تحقيقي ينفي صفة الخلق تماما عن كل ما عدا الله.

بعد الآيتين المذكورتين في هذه السورة وردت الآيات الاستفهامية الست على نسق الاستفهام السابق. وهي:

قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ○ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾

↓ ↓

**جملة استفهامية إجابة استفهامية**

وقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ ○ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**﴾

↓ ↓

**جملة استفهامية إجابة استفهامية**

وقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ○ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ**﴾[69]

↓ ↓

**جملة استفهامية إجابة استفهامية**

في هذه الآيات المذكورة تكررت أساليب الاستفهام بحرف الاستفهام (أ)، قد ورد النظم القرآني بالاستفهام الأول بهمزة الإنكار قطعا، أي: لا أحد منهم يفعل ذلك. والاستفهام الثاني في جواب الاستفهام الأول بهمزة التقرير قطعا، حيث إنهم لا يملكون إلا الاعتراف بأن الله يفعله وحده.

**قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ○ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾**[70]

**الدراسة والتحليل:** قد وردت هذه الآيات بثلاث استفهامات: (**أَلَمْ تَرَ**) بالهمزة، (**كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**) بكيف، و(**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**) بالهمزة. وفيها إشارة إلى حدث الفيل.

والشكل الموضح لهذه الآية كالآتي:

**أَلَمْ تَرَ ⟵ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ⟵ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**

↓ ↓ ↓

**جملة استفهامية جملة استفهامية إجابة استفهامية**

إن الخطاب القرآني بقوله تعالى (**أَلَمْ تَرَ**) موجّه إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كأنه يراها، وحادثة الفيل وقعت قبل ولادته، فكيف يرى هذه الحادثة وهولم يشهد أحداثها؟ ، يرى البعض: "أن السؤال بهمزة (ألم تر) بمعنى (ألم تعلم)."[71] وهذا الاستفهام للتقرير بما تواتر نقله، إن العرب كانوا يؤرخون بتلك الحادثة ، والمراد بالرؤية هنا العلم المحقق، وعبر الله سبحانه وتعالى عن العلم بالرؤية.[72] والله أعلم.

ثم وردت (كيف) دون غيرها من أدوات الاستفهام، فلم يقل: (ألم تر ماذا فعل ربك)، للدلالة على حالة عجيبة لهذا الحدث، ولاستحضار صورته في مشاهدة المخاطب. كذلك التعبير بهذا الحدث جاء بصيغة الماضي (فعل) لتشعر المخاطب بأن هذا الأمر متحقق.

ثم ورد النظم القرآني بالاستفهام الثاني (**كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**) بأداة استفهام (كيف) مجردا عن معنى الاستفهام لبيان كيفية الحدث، وفي جواب هذا الاستفهام جاء قوله تعالى (**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**) بهمزة الاستفهام بيانا لما في الجملة الأولى. وفيه همزة الاستفهام بأداة النفي ليفيد التقرير ما بعد النفي، فجوابه بالاستفهام التقريري لطلب إقرار المخاطب تأكيداً لبيان المعنى في تهويل الحادثة ووقوعها بكيفية عجيبية دالة على عظم قدرة الله وكمال حكمته وشرف بيته. هو أسلوب شائع في النظم القرآني، وكثر في مواطن الحث على التدبّر والإقناع.

**خلاصة القول:** بالنظر في هذه الدراسة يتجلى لي أن الأجوبة القرآنية بأسلوب الاستفهام هو أسلوب رشيق في منتهى البلاغة، ويتضمن أسرارا عجيبة تدعو العاقل إلى البحث والتأمل والتدبّر في معانيه ومقاصده.

**النتائج:** قد توصل البحث إلى جملة من النتائج ، وهي:

- قد وردت الأجوبة القرآنية بأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم لتزيد المتلقين إيمانا وتبهر عقولهم، وتعطى الإقناع والإمتاع، وتزداد حلاوة الآيات وطلاوتها عندهم.
- إن التعبير القرآني بأجوبة استفهامية قد ورد في القرآن الكريم متعانقا مع خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي للدلالات الإيحائية البلاغية التي تتلائم مع حكم الآيات وقصدها.
- سياق الحال للأجوبة القرآنية باستفهام قد أثّر في وضوح الدلالة، والمقصود بسياق الحال كل ما يحيط بالنص من ظروف ترتبط بالمتكلم والمخاطب وسبب نزول والحوادث والأشخاص.

– قد ميزت الأجوبة القرآنية بأسلوب الاستفهام لإرداة بث الطمأنينة في النفس والتوكيد والتوبيخ والتقرير والإنكار والتهويل وغير ذلك.

– كثر في جواب الاستفهام باستفهام تعانق أداة العطف (الفاء والواؤ) مع أداة الاستفهام، زيادة في الإيقاظ والتنبيه والتوبيخ والتعجيب.

– يكون في الأعم الغالب في مخاطبة الغافلين من الكافرين واليهود أو ما ينزل منزلتهم، يحمل الجواب بالاستفهام من تنبيه وإثارة تعمل على إيقاظ المخاطب وانتشاله من الغفلة المتحكمة فيه.

– من خلال دراسة تحليلية للنصوص القرآنية، نجد أن القرآن هو كتاب يقدم الإرشادات والتوجيهات للتفكير الاستدامي الذي يحث على المحافظة في الحياة الطيبة بالعمل الصحيح في كل جوانب حياتنا.

ولله الحمد والشكر، فما كان في هذا البحث من خير وحق فهو من توفيقه سبحانه وتعالى، وما كان من خطأ وتقصير فمنّي ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والغفران. وأسأل الله تعالى أن ينفعني بما علمني، وأن يزيدني علمًا، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، نافعًا لعباده الصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين.

## الحواشي والمراجع:

[1]. هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، إمام في علم اللغة والأدب، ت 393هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات كمال الدين الأنباري ت 577هـ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط3، 1985م 252/1. وتاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت748هـ، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م،724/8.

[2]. الجوهري إسماعيل بن حماد الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ت 393هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:4، 1407هـ - 1987م. مادة: ف ه م. 2005/5.

[3] . ابن منظور، محمد بن مكرم جلال الدين، لسان العرب: دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ. مادة: ف ه م. 459/12.

[4]. هو إمام أهل النحو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، من أهل فارس، الملقب بسيبويه، معناه بالفارسية "رائحة التفاح"، ت180هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 54/1، وتاريخ الإسلام: 636/4.

[5] . سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان،الكتاب: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ. ص: 288.

[6]. هو يوسُف بن أبي بكر بن محمد بن عليّ، أبو يعقوب السَّكَّاكيُّ، إمام في النحو والتصريف وعلمي المعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر وعلم الكلام. ت 626هـ. ينظر: تاريخ الإسلام: 828/13.

[7]. السَّكَّاكي أبو يعقوب يوسف ،مفتاح العلوم: تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1407هـ. ص: 303.

[8] . الأوسي د. قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: بيت الحكمة بجامعة بغداد – مكتبة وطنية ببغداد، 1988م. ص:309.

[9]. سورة البقرة: 68.

[10]. سورة الأعراف: 44.

[11]. سورة البقرة: 28.

[12] . هو قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني، أشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، والإيضاح في شرح التلخيص. ت 739هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، 1420هـ. 240/18.

[13]. القزويني،محمد بن عبد الرحمن جلال الدين الخطيب الإيضاح في علوم البلاغة: دار إحياء العلوم – بيروت، ط4، 1998م. 112/1.

[14]. شروح التلخيص: (مجموعة شروح التلخيص يشتمل على خمسة كتب: في صلب المجموعة ثلاثة كتب وهي على الترتيب: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. وفي الهامش كتابان، وهما على الترتيب: الإيضاح للخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني للسعد التفتازاني)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، (ب.ت)، 290/2.

[15] . هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة، وترك آثارًا مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، ت 471هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 265/1.

[16] . الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، دلائل الإعجاز: تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م. ص:118.

[17] . محمد محمد أبو موسى د.، دلالات التراكيب: ، مكتبة وهبة، مصر، (ب.ت). ص:224.

[18]. ينظر: من بلاغة النظم العربي _ دراسة تحليلية من مسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطى عرفة، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط2، 1984م، 103/2.

[19]. سورة البقرة: 44.

[20]. ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت 1393هـ، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ، 474/1.

[21] . نفس المرجع: 477/1.

[22] . سورة يونس: 03، وسورة هود: 24،30، وسورة النحل: 17، وسورة المؤمنون:85، وسورة الصافات: 155، وسورة الجاثية: 23.

[23] . سورة الحج: 46، وسورة محمد: 10، وسورة يوسف: 109، وسورة غافر: 82.

[24] . سورة فاطر: 44، وسورة الروم: 9، وسورة غافر: 21.

[25] . سورة يونس: 51.

[26] . درويش،محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه: ت 1403هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية سورية – دار اليمامة ، بيروت، ط4، 1415هـ. 96/1.

[27] . البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ت 885هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 363/1.

[28] . هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، أبو القاسم النحوي .كان إماما في النحو واللغة والبلاغة، له تصانيف كثيرة، ت 538هـ. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1، 1900م. 161/5.

[29]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407هـ، 133/1.

[30]. سورة البقرة: 76.

[31]. طنطاوي، محمد سيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط1997،1م، 178/1.

[32]. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين عبدالله بن يوسف، ابن هشام ت761هـ، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م، 24/2،

[33]. ينظر: شروح التلخيص: 300/2.

[34] . سورة البقرة: 260.

[35]. هو أبو عبد الله محمد بن ... الأنصاري الأندلسي القرطبي، المفسّر، ولد في قرطبة ثم انتقل إلى مصر وبقي فيها حتى توفي سنة 610هـ، له تصانيف مفيدة. ينظر: تاريخ الإسلام: 229/15.

[36] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين، تفسير القرطبي ( الجامع لأحكام القرآن )، ت 671هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م، 44/1.

[37]. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ت 982هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 256/1.

[38]. ينظر: شروح التلخيص: 294/2.

[39] . سورة الأنعام 46.

[40] . الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم:310/1.

[41] . سورة القصص: 71.

[42] . سورة القصص: 72.

[43] . ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص:295.

[44]. سورة النمل: 60.

[45] . تفسير ابن عاشور: 10/20.

[46]. سورة النمل: 61.

[47]. سورة النمل: 62.

[48]. سورة النمل: 63.

[49]. سورة النمل: 64.

[50]. ينظر: الإيضاح: ص: 188، وشروح التلخيص: 218/3.

[51]. سورة ص: 75.

[52]. في سورة البقرة: 34، وسورة الأعراف: 11- 18، وسورة الحجر: 30 - 35، وسورة اسراء: 61 – 63، وسورة الكهف: 50.

[53]. ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) : تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م. 71/1.

[54]. روح المعاني: ص: 29 – 72.

[55]. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت: 502هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2004. ص:695.

[56]. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن): ت 510هـ، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ، 77/4.

[57]. سورة فصلت: 15.

[58]. السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ت 1376هـ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م، 764/1.

[59]. التحرير والتنوير: 256/24.

[60]. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 162/17.

[61]. الصابوني،محمد علي، صفوة التفاسير: دار الصابوني – القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م، 109/3.

[62]. ينظر: شروح التلخيص: 296/2.

[63]. الكشاف: 129/4.

[64]. سورة ق: 30.

[65]. تفسير ابن كثير: 403/7.

[66]. سورة هود: 119.

[67]. القشيري النيسابوري، سلم بن الحجاج أبو الحسن ،صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): م تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت)، رقم الحديث: 2848. 2188/4.

[68]. سورة الواقعة: 58 – 59.

[69]. سورة الواقعة: 63-72.

[70]. سورة الفيل: 1،2.

[71]. تفسير القرطبي: 187/0.

[72]. ينظر: التفسير الوسيط: 510/15.